٥. كتاب ما تخفيه الصدقة الجارية (مقالات و أبحاث في الوقف)"

المؤلف: د. طارق عبدالله، الناشر: مشروع مداد الوقف، الكويت، الأمانة العامة للأوقاف، سنة النشر: ١٤٤٢هـ (٢٠٢٠م)، الطبعة الأولى، سلسلة الكتب (١٢)، ٣٩٢ صفحة.

"ما تخفيه الصدقة الجارية" عنوان اختاره المؤلف ليلخص فيه فكرة عدد من المقالات والأبحاث المتنوعة في موضوعاتها وتفاصيلها التي نشرها حول الوقف خلال عقدين من الزمن. تتجه هذه الكتابات في مجملها - كما يشير المؤلف- للإجابة عن عدد من الأسئلة: "كيف تحوَّلت مشروعات الوقف إلى قوة ناعمة تمكنت من أن تثبت موقعها ضمن السياق الحضاري العام...؟، كيف أصبح الوقف (سلطة) بالمفهوم الاجتماعي؟، كيف تمكَّن الوقف بوصفة آلية اجتماعية من الربط بين حركة الأفكار والرجال من ناحية، وحركة البضائع والتجارية من ناحية ثانية...؟".

يتكون الكتاب من قسمين، يتناول القسم الأول عددًا من الافتتاحيات التي نشرها المؤلف ضمن أعداد مختلفة لمجلة "أوقاف" الصادرة عن الأمانة العامة للأوقاف في الكويت، تحتوي على عشرين مقالة، تناول من خلالها الكاتب قضايا رئيسة مختلفة تهم الباحثين والعاملين في مجال الأوقاف، يعتقد المؤلف أنها مفصلية في فهم الوقف وتطوير تجربته العملية.

تمحورت هذه الافتتاحيات في جوانب متنوعة للوقف: علمية، واقتصادية، وتاريخية، وتنموية، وإدارية، وتعليمية، وتمويلية، وسياسية، وغيرها. فيما يحتوي القسم الثاني من الكتاب على عشرة أبحاث علمية للمؤلف، تناولت مجموعة من القضايا الوقفية المعاصرة، يتمثل أهمها في طبيعة وتطور العلاقة بين الدولة والقطاع الوقفي، ودور الوقف في التنمية الشاملة مع التركيز على دوره على التعليم كأحد الأذرع الأساسية للتنمية، وعقد المؤلف مقارنات بين أوقاف المسلمين والمؤسسات المشابهة في البلاد الغربية، مستعرضًا للتجربة الغربية للأوقاف في بناء وتعزيز المنظومة التعليمية، كما وضع المؤلف عددًا من الأفكار

لإحياء مشروع الوقف في العالم الإسلامي؛ كي يقوم بدوره التنموي المأمول.

يأتي البحث الأول بعنوان: "الدولة والقطاع الوقفي في القرن الحادي والعشرين "من الوصاية عليه إلى الشراكة معه": يناقش فيه المؤلف علاقة الدولة بالقطاع الوقفي وتطورها ورصد آثارها على أداء المؤسسات الوقفية.

في حين يعرض البحث الثاني: دعم الوقف للموازنة العامة للدولة، كنموذج عملي لهذه العلاقة. ينتقل المؤلف بعد ذلك من الإطار المحلي الضيق للوقف إلى العالمية ليتكلم في البحث الثالث عن "عولمة الصدقة الجارية: نحو (أجندة) كونية للقطاع الوقفي"، ويناقش الدور الدولي للوقف في دعم العلاقات السياسية والاجتماعية بين البلدان الإسلامية. فيما يتضمن البحث الرابع: "مساهمة الوقف في التنمية الشاملة" في العالم العربي.

وفي البحث الخامس الذي جاء بعنوان "نحو استراتيجية متكاملة للاستثمارات الوقفية: مقاربة اجتماعية" يدعو المؤلف المؤسسات الوقفية إلى تطوير تفكيرها الاستراتيجي الاستثماري بربط نشاطها الوقفي الخدمي والاستثماري بمشروع متكامل لتنمية شاملة، وألا يطغى التركيز على العائد المالي للاستثمارات الوقفية على عائدها الاجتماعي. وفي البحث السادس الذي حمل عنوان: "ما بين الوقف والمؤسسات الخيرية في الغرب: وحدة الفكرة واختلاف النتائج" يحاول المؤلف رصد الفواق العملية والنظرية بين الوقف الإسلامي ونظام التبرع الغربي.

ويشير إلى أثر الوقف على تطور الترست في الغرب. ليستعرض البحث السابع: التجربة الوقفية الأمريكية المعاصرة في علاقتها بالتعليم والبحث العلمي الذي أسماه "هارفارد وأخواتها: دلالات الوقف التعليمي في الولايات المتحدة الأمريكية". ليعيد التأكيد في البحث الثامن على أهمية ربط النشاط الوقفي بالأبعاد التنموية في مقدمتها البحث العلمي والتعليم، الذي جاء بعنوان: "التخطيط الاستراتيجي داخل الأوقاف الإسلامية (نحو دور ريادي للأوقاف في مجالات التعليم العالي والبحث العلمي)".

وفي البحث التاسع "آفاق مستقبل الأوقاف في تونس"، يركز المؤلف على تحليل السياق التاريخي للوقف في تونس لما قبل إلغائه في عام ١٩٥٧م، ويقدم رؤية لكيفية عودة الوقف لممارسة دور التنموي في تونس، ويستشهد على ذلك ببعض التجارب المعاصرة.

وفي البحث العاشر: "نحو موجة ثانية لإحياء الوقف في العالم الإسلامي" يستعرض فيه موجة الإحياء الأولى التي شهدها قطاع الأوقاف في العشر السنوات الأخيرة من القرن العشرين في البلاد الإسلامية، وما أصابها من خفوت، ليشدد على أهمية العمل على إحياء موجة إحياء ثانية تستكمل ما تم البدء به وتبني عليه.

بالرغم من تباعد الفترة الزمنية التي كتب خلالها المؤلف تلك المقالات والأبحاث، يجد فيها القارئ نَفَس واحد، وأفكار مرتبة ومتجددة، وفهم عميق لشعيرة الوقف. وهذه الأبحاث بتعددها تشكل حقيبة مفيدة للباحث والمهتم في قضايا الوقف والتنمية.